(٤٥) خطبة له ﷺ فى الأمر بالحج والنهى عن كثرة السؤال، واجتناب المنهىّ عنه وعدم فعله، وفعل المستطاع

عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال : خَطَبَنا رسول الله ﷺ ، فقال :

« **يا أيُّها النَّاسُ.. إنَّ اللهَ قد فرضَ عليكُم الحجَّ فحجُّوا** » .

فقال رجل : أكُلَّ عام يا رسول الله ؟ . . فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ :

« **لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ولَمَا اسْتَطَعْتُمْ** ».. ثم قال :

«**ذَرُونِى مـا تَركتُكُـمْ، فإنَّمـا هلكَ منْ كـانَ قبلَكم بـكثرةِ سُـؤالِهم واختلافِهم علَى أنبيائِهم، فإذَا أمرتُكم بشيءٍ فَأتُوا منْهُ ما استطعتُم ، وإذَا نهيتُكم عَنْ شيءٍ فَدَعُوه**».

(رواه مسلم)

فى هذه الخطبة ـ كما قرأنا ـ يأمر النبى ﷺ أصحابه وكل فرد فى أمته بأداء فريضة الحج ما دامت هناك استطاعة لأدائها ، كما يشير قول الله تعالى :

﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ (١).

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧ .

وإذا كانت هناك تلك الاستطاعة المالية أو الصحية أو الأمنية، ولم يؤدِّ المسلم فريضة الحج، فإنه سيموت يهودياً أو نصرانياً.

فعن أبى أمامة عن النبى ﷺ، قال:

«مَنْ لَمْ تَحْبِسْهُ حَاجَةٌ ظاهِرةٌ، أو مرضٌ حَابِسٌ، أو سُلطانٌ جَائِرٌ، ولَمْ يحجَّ؛ فليمتْ إنْ شَاء يَهودياً وإنْ شَاءَ نَصرانياً».

(رواه البيهقى)

وقد فرض الله تعالى الحج فى العمر مرة واحدة على كل مسلم ومسلمة، بدليل قوله ﷺ، عندما سئل ثلاث مرات: أكل عام يا رسول الله؟.. فقال:

«لو قلتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ولما استطعتُم».

هذه رحمة من الله تعالى بنا، لأنه لو قال النبى ﷺ: نعم؛ لوجبتْ، ولما استطاع أكثرنا ذلك لأسباب كثيرة - مالية وغير مالية - تختلف بطبيعة كل زمان ومكان:

ولهذا فقد أشار النبى ﷺ إلى ملاحظة مهمة، وهى ضرورة الامتثال لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى - دون أدنى مناقشة - حتى لا نفتح على أنفسنا باباً كان من الخير لنا أن لا يُفتح، كما حدث بالنسبة لمن كان قبلنا من الهلاك بسبب كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم.

وحسبنا أن نشير هنا إلى ما كان من أمر بنى إسرائيل، عندما أمَرهم الله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام بأن يذبحوا بقرة. فأخذوا يسألون: ما هى.. وما لونها؟.. إلى أن قالوا: ﴿**إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**﴾[1] فكانت النتيجة لتلك الكثرة من الأسئلة أن حدد لهم بقرة لها مواصفات خاصة، فدفعوا فى شرائها ثمناً كبيراً، ولو نفَّذوا أمْرَ الله تعالى من أول الأمر، لذبحوا أىَّ بقرة دون أدنى مُعاناة.

والقرآن الكريم ملىء بمثل هذه الصور التى أدَّت إلى إهلاكهم..

ومن أجمل ما قرأت فى هذا:

أن سيدنا موسى عليه السلام بعد انتهاء الرحلة التى صاحب فيها الخضر عليه السلام، والتى سجّلها القرآن فى سورة الكهف: قال لسيدنا الخضر: أوصنى.. فقال له:

«**كُنْ بسَّاماً ولا تكنْ ضحَّاكاً، ودَعِ اللَّجَاجَة، ولا تَمشِ فى غيرِ حَاجَة، ولا تَعبْ على الخَطَّائين خَطَاياهم، وابكِ علَى خَطيئتكَ يا بنَ عِمْرَان**»[2].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأداء فريضة الحج، وأن يجعلنا من الذين ينفِّذون أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ دون خلاف أو جدال. آمين.. آمين.. آمين.

* * *

(١) اقرأ تلك الآيات المشيرة إلى هذا فى سورة البقرة: ٦٧ ـ ٧١.

(٢) انظر تفسير القرطبى، سورة الكهف.